بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله صاحب العزَّة والملكوت , أعزَّ العربية بنزول القرآن الكريم بها فحفظها وحفظه , وأتمَّ على المسلمين نعمة اليقين , والصَّلاة والسَّلام على من وحَّد برسالته بين أجناس البشر فتآلفت قلوبهم , وارتقت في العلا منزلتهم , وعلى آله وأصحابه أولى العقول الراجحة والقلوب الخاشعة المتضرعة وسلِّم اللّهم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد،،،

فلمَّا كانت اللغة العربية تمثِّل جزءًا رئيسًا من الدِّين الإسلامي الذي تعيش لأجله ومن أجله هذه الأمة تعدَّدت حولها الدِّراسات وتكاثرت إسهامًا في إعلاء شأن هذه اللغة , وجعلها دائمًا في مقدِّمة الصُّفوف بين لغات العالم , تبرز بينها كالطَّود الشَّامخ ثابتة الأركان محدَّدة الملامح والسِّمات .

وقد اهتمَّ علماء العربية بدراسة أولى لبنات هذه اللغة عن طريق دراسة الصَّوت اللغوي باعتباره أصغر وحداتها , والذي يمثِّل القاعدة الأساسية لبناء متكامل الأركان .

وقد برز من خلال تلك الدِّراسات الصَّوتية قضية حظيت باهتمام خاصٍّ عند علماء العربية قديمًا وحديثًا وهي قضية " الإبدال اللغوي " فصَنَّفوا فيها بعض المُصَنَّفات الخاصَّة بها[1] , أو ظهرت عندهم كقضية من أهمِّ القضايا[2] .

وربَّما كان الدَّافع لهذا الاهتمام هو أن الإبدال أصبح له " فائدة كبيرة في علم اللغة , فإن معرفة علل تبدل الحروف وأصولها القديمة مفتاح من مفاتيح علم الاشتقاق , فإنه هو الذي يكشف الصِّلة بين كلمات تباعدت أشكالها وضاعت معالم قرباها , سواء كانت في لغة واحدة أم في لغات مختلفة , فإن معرفة قوانين الإبدال هي التي تكشف لنا الصِّلة بين (ضرب و اضطراب) , و(غبن و جبن) و (غفر و كفر)[3] " .

---

(1) منها على سبيل المثال : كتاب الإبدال لأبي يوسف يعقوب بن السِّكيت , وكتاب الإبدال لأبي الطيِّب عبد الواحد بن على اللغوي , وسرِّ الليال في القلب والإبدال لأحمد فارس الشِّدياق .

(2) منها على سبيل المثال : كتاب سر صناعة الإعراب , وكتاب الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني , والمخصص لعلى بن أحمد بن سيده , والمزهر في علوم اللغة لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي .

(3) فقه اللغة . محمد المبارك صـ 39 – مطبعة جامعة دمشق .

إضافة إلى أن الإبدال قد تحقَّق بصورة واسعة في ألفاظ اللغة العربية , حتى قيل : " قلما تجد حرفًا إلا وقد جاء البدل فيه ولو نادرًا[1] " .

فأصبح " من سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض[2] ".

وقد حاول علماؤنا التأصيل لهذه القضية ,ووضع الضَّوابط والقوانين الخاصَّة بها حتى لا تتشابه أو تختلط بغيرها من الظَّواهر الأخرى , فبذلوا في سبيل تحقيق ذلك جهدًا عظيمًا عنوانه الوفاء والإخلاص , حتى وُفِّقُوا في صنيعهم , واهتدوا إلى الثَّوابت التي تعتمد عليها تلك القضية , فأضحت جهودهم شمسًا ساطعة في سماء لغتنا العربية .

وقد حاولت قدر جهدي معالجة تلك القضيَّة عن طريق أعظم نصٍّ مقدَّس عرفته البشريَّة واستمدت منه وجودها , وهو القرآن الكريم بقراءاته الكثيرة المتنوِّعة , والتي تُعَدُّ مظهرًا من مظاهر إعجازه ؛ لأنَّ " من جوانب إعجازه – وما أكثرها – أن نقرأ كثيرًا من كلماته وجمله , بوجوه مختلفة , وتظل الأحكام والمعاني مؤتلفة , فلا نجد تناقضًا في الأحكام , ولا تعارضًا في المعاني , مما جعلني أقول مع القائلين : عندما تختلف القراءات وتختلف دلالاتها فكلُّ قراءة تُعتبر كأنَّها آية أخرى , بسبب المعنى الخاص الذي تؤدِّيه وحدها إلينا , وغيرها لا يؤدِّيه , وذلك أحد سمات الإعجاز لهذا الكتاب العزيز , لأنَّه تأدية الكثير من المعاني بالقليل من المباني "[3] .

وإذا كان محور الاختلاف بين القراءات القرآنيَّة ينحصر في سبعة أوجه , فإن الإبدال بين الصَّوامت يُعَدُّ وجهًا من تلك الوجوه السبعة , وهو ما ركزت تلك الدِّراسة عليه وأبرزته من خلال عنوان" الإبدال اللغوي بين الصَّوامت في القراءات القرآنيَّة[4] ", وذلك محاولة مني لبيان أهميَّة القراءة القرآنيَّة وأثرها الملحوظ في تأصيل جانب التيسيرعلى الأمة الإسلامية في هذا الباب المعروف باختلاف اللهجات العربية .

---

(1) المزهر في علوم اللغة للسيوطي .تحقيق . محمد جاد المولى وزميليه 1 / 461- الطبعة الثالثة د . ت .

(2) الصاحبي لابن فارس .تحقيق . السيد أحمد صقر صـ 333 – مطبعة الحلبي – دار إحياء الكتب العربية .

(3) الكشاف عما بين القراءات العشر من خلاف د. أحمد محمد إسماعيل البيلي صـ 14 – الدار السودانية للكتب – الطبعة الأولى 1419هـ - 1998م .

(4) وقد سبق أن قدَّمت دراسة خاصَّة بالتثليث الحركي في القراءات القرآنيَّة بعنوان " المثلَّث في القراءات القرآنيَّة " .

هذا ، وقد اشتملت هذه الدراسة على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة .

المبحث الأول : ويشتمل على :-

أ- الإبدال في اللغة والاصطلاح .

ب- الإبدال وآراء العلماء .

ج- مُسَوِّغات الإبدال .

المبحث الثاني : ويشتمل على :-

أ- مخارج الصَّوامت العربية .

ب- صفات الصَّوامت العربية .

المبحث الثالث :

الإبدال اللغوي بين الصَّوامت في القراءات القرآنيَّة .

هذا , وقد تمَّ تحليل الألفاظ القرآنية داخل هذا المبحث من خلال المنهج التالي :-

أ- ذكر الصوتين محور التبادل مع ذكر اللفظة القرآنيَّة .

ب- ترتيب الصوتين ترتيبًا مخرجيًّا بدءًا بالحنجرة وانتهاءً بالشفتين .

ج- ذكر النَّصِّ القرآني مع بيان اسم السُّورة ورقم الآية .

د- نسبة كل قراءة إلى أصحابها بعد ذكر القراءتين .

ه- العلاقة الصَّوتية بين الصوتين .

و- الشَّرح والتَّحليل .

وفي الخاتمة ذكرت أهم النتائج التي توصَّلت إليها .

وبعد , فإن قدَّمت تلك الدِّراسة عملا جادًّا تستفيد منه المكتبة العربيَّة فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء , وإن كان غير ذلك فأدعوه – عزَّ وجلَّ – أن يَمُنَّ عليَّ من فضله , ويشملني برحمته , ويغفر لي زلَّتي , إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.